٧- غياب الحوار

إن الصدام الرهيب الذي يحدث بين الأب الملتزم الذي يريد أن يرى من نسله من هو مثله، وبين الولد المتمرد على الصورة الملتزمة التي رسمهاله أبيه، ناتجًا لانعدام الحوار.

حوار نفهم فيه قناعات الابن، حوار لحل مشاكله التي يعانيها، حوار لبناء جسور من التواصل.

فلسان حال أغلب الأبناء: «لا أحد يسمعني... لا أحد يفهمني»، وشاكين من عدم التواصل مع الأهل، أضف أيضا ما يسمع منهم «إن أبي في واد وأنا في واد آخر».

فبالحوار نستطيع الدخول إلى العقول والقلوب بكل سهولة ويسر، أضف ما نجنيه من مساحات ونقاط للالتقاء والتقارب نستطيع من خلالها قيادتهم إلى طريق الخير والرشاد «ذلك أن هذا التواصل طريق الآباء إلى جعل علاقاتهم مع أبناءهم قوية متينة عميقة ومن ثم... يصبح الأبناء محبين لآبائهم، متعلقين برضاهم،

ويصبح وزن البيت في حسهم أثقل من المدرسة والشارع والأصدقاء، ويتيسر للآباء إصلاح ما يمكن أن يكون قد فسد في نفوس الأبناء بسبب من كل هؤلاء...»[(١)].

فوائد الحوار بين الوالدين والأبناء[(٢)]:

١- هدم الحواجز التي تمنع الأبناء من مصارحة الآباء بكل شيء في حياتهم، واستشارتهم في كل أمر يستجد عليهم.. وهذا يُمكِّن الآباء من معرفة جميع مشاكل الأبناء وما يعانون منه، كما يمكنهم من توجيه أبناءهم على بصيرة في الاتجاه الصحيح المطلوب لأن «التربية الصحيحة تتطلب معرفة المربي بنفسيات وعقليات وهموم... من يقوم على تربيتهم، وأفضل طريقة لذلك هي إقامة علاقة منفتحة معهم يتمكنون من خلالها من البوح بما لديهم بمنتهى السهولة».

٢- إنقاذ الأبناء من خطر الصحبة السيئة لأن انعدام التواصل بين الآباء والأبناء يدفع إلى اللجوء من الابن إلى أقران السوء من

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٩٤].

(٢) «اللمسة الإنسانية» ص[٥٩٧] باختصار وتصرف، «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص(١٧، ٢١).

أصحابه يستشيرهم في أمره وفيما يطرأ عليه من مشاكل، ليجد عندهم أسوأ الآراء، وأردأ الحلول التي قد ترتد عليه بالدمار والهلاك لو عمل بها...!!

٣- «إن هذا يكشف لك عن المشكلات المحتملة في وقت مبكر، ويساعدك على تقديم المساعدة في الوقت المناسب» فلكم سمعت من الأبناء من يقول: «لو كان والدي حذرني من هذا الأمر ما وقعت فيه».

٤- اكتساب الأبناء شعورًا صادقًا بحب وحنان وعطف الآباء عليهم... وهذا الشعور بمحبة الآباء من أهم المشاعر الإنسانية؛ فالابن يميل دائمًا إلى من يلتمس منه المحبة والعطف نحوه، ويكون مشدودًا إليه وإلى توجيهاته وتعليماته، فإن لم يجد هذه المحبة عند الآباء بحث عمن يجد عنده هذا الشعور ليسد حاجته في هذا الجانب.. «هناك فيض كبير من الدراسات واستطلاعات الرأي التي تؤكد أن لجوء الأولاد والبنات إلى الإنترنت وإلى الأصدقاء كان بسبب ما أشرنا إليه من الفراغ العاطفي، ومن فقد الأذن التي تصغى إليهم والصدر الرحب الذي يتسع لمشكلاتهم وهمومهم، وهناك دراسات

أيضًا كثيرة تشير إلى أن انحراف كثير من أبناء الأسر المحترمة المتدينة كان بسبب رفاق السوء الذين تعرفوا عليهم وخالطوهم في غفلة من أهلهم».

٥- تغيير القناعات الفكرية لدى الابن التي تقوده لاتخاذ القرارات، وقد طبق هذا الأسلوب مؤدب البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أتى إليه شابٌّ يقول: ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْنُهْ**» فدنا منه قريبًا فجلس، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِم**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**» قال: قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِم**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِم**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِم**».

قال: فوضع رسول الله يده عليه، وقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَه**» قال: فلم يكن الفتى بعد يلتفت إلى شيء[(١)].

فانظر ما كان منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تغيير لقناعات الشاب بمجرد فتح الحوار معه بهدوء ومحبة وما اكتفى بذلك بل ودعا له أيضًا.

٦- هي توجيه غير مباشر، فهي تزيد الثقة بالنفس، فلا يكون الإنسان سلبيًا ينتظر أمرًا ونهيًا، أو إمعة يقبل كل ما يلقى إليه، والإنسان أشد ما يكون صراحة مع نفسه وفكره عندما يواجهها بالحقيقة، بينما يصعب عليه في كثير من الحالات قبول ذلك من غيره؛ لأنه يشعر وكأنه تهديد لكيانه الفكري والنفسي»[(٢)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [٣٧٠].

(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٨].

حتى يكتمل البناء:

وبعد أن تعرفنا على أهمية الحوار، لا مناص من حاجتنا إلى فتح الصناديق المغلقة عند الأبناء، نفتح ونفتش لعلنا نجد ما يوصلنا إلى إصلاح ما فسد، أو البقاء على الصالح منه، ولكن بقيت عدة إرشادات لكي يتم البناء على الوجه الصحيح وهي:

١- يجب أن نخصص وقتًا للجلوس مع الأبناء لأن ذلك من حق أبنائنا علينا،والله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه**»[(١)]. إذن فإنها مسؤولية كما أن إطعامهم وملبسهم مسؤولية، فيجب أن نوازن بين مسؤوليات الأبناء حتى لا يحدث خلل في العملية التربوية، وحينها لا ينفع الندم، «لقد أصبحنا كلنا أو معظمنا مشغولين خارج بيوتنا في أعمالنا الوظيفية أو التجارية، وكثيرًا ما نرجع آخر الليل لنجد أبناءنا في نوم عميق وقد نصبح والأبناء في مدارسهم، وهكذا... بل ربما مضت أيام دون أن تقع

(١) «صحيح البخاري» [١٩٦٨].

أنظارنا على أبنائنا!! فأين التوجيه؟! أبوة التربية، أبوة العطاء والتجربة والخبرة»[1].

فيا معشر الآباء، يا من نرى أن انشغالنا في أعمالنا تأمين لمستقبل أبنائنا، أين نحن من تأمين رصيد الحب والتواصل الذي لا يشترى بالمال.

«إن السواد الأعظم منا مقصرون في التواصل مع أبناءهم وإننا جميعًا نستطيع أن نفعل أفضل مما فعلناه على هذا الصعيد، وإن الوعي بأهمية هذه المسألة يشكل الخطوة الأولى، وقد آن الأوان لنخطو تلك الخطوة».

فيا خادم الجسم والروح متعبة، يجب عليك إعطاء أولادك من الوقت ما يكفيهم للحوار والنقاش معك وحل مشاكلهم، وأن نرتبط معهم بمواعيد تجمعنا وإياهم.

فيا خادم الجسم تسعى لراحته ... أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على الروح فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٩٥].

٢- دع الابن يقوم بمعظم الحديث ولا تملك الحديث كله لأن ذلك يقود إلى فتح القلوب وراحة النفوس «فالأبناء والأمهات في حاجة شديدة إلى تطبيق قاعدة الاستماع مع أبناءهم، ولو فقه الآباء هذه القاعدة وطبقوها، لانتهت الكثير من المشاكل مع أبناءهم، ولمنعت الكثير من المشاكل»[(١)].

فعلى الآباء والأمهات أن يتقنوا فن الإصغاء إلى أبناءهم؛ لأن المستمع الجيد هو المحاور الناجح، فكم سمعت من الأبناء من يقول: «لقد أعطاني أبي محاضرة اليوم...».

٣- أن يكون الحوار بدون استقصاء وذلك يتم على محورين:

الأول- عدم استقصاء المشاكل التي يمر بها الأبناء مثل مفاتحته في أمور البلوغ والانحرافات الجنسية، ولكن لا يكون الحوار على مستوى الأسرة ويكون الأب أو الأم على درجة من الذكاء في الدخول للحوار.

(١) «سحر الاتصال» محمد العطار ص[٤٩].

الثاني- «فهم الصورة الذهنية التي كوَّنها الأولاد عن الآباء وعن منزلهم وأسرتهم ومحاولة تعديلها، وهذه مهمة للغاية؛ لأن الاحتكاك الطويل بين أفراد الأسرة يجعل كل واحد منهم يشكل في عقله انطباعات عن باقي أفرادها، فهذا طفل يعتقد أن أباه بخيل لأنه يظن أنه يملك الملايين وهو لا ينفق على أسرته كما ينفق والد صديقه الذي يعمل في وظيفة متواضعة... هذه الصور والمعتقدات بقطع النظر عن صحتها وواقعيتها، تضعف التفاعل بين أفراد الأسرة وتجعل تأثير الأبوين في الصغار أقل مما ينبغي... وأعتقد أن كثيرين منا سيصابون بالصدمة من مدى التشوه الذي لحق بصورتهم في أذهان أبناءهم»[1].

وعليك أن تتقبل من ابنك كل ما يدور بباله عنك لكي تعرف كيف الدخول إلى ما تريد، ولاحظ أن الأطفال أو المراهقين لا يحسنون أحيانًا التعبير فيلجئون إلى العفوية والتلقائية في الكلام فعلينا أن ننبه على عدم تجاوز حدود الأدب بكل هدوء.

(١) «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص(١٨، ١٩).

٤- أكثر من الأسئلة المفتوحة التي لا تنتهي إجابتها بنعم أو لا؛ لكي لا ينقلب الحوار إلى تحقيق.

٥- مراعاة الجو النفس والاجتماعي لطرفي الحوار؛ فلا يصح أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق أو الحاجة إلى النوم أو الجوع»[(١)].. وحبذا أن يتم الحوار في أجواء لا تنقطع كثيرًا مثل السفر أو ركوب السيارة.

٦- «مراعاة الآداب الإسلامية القولي منها والعملي في الحوار.. مثل احترام الآخر، التلطف في القول، الابتسامة، تجنب الغضب، تجنب اللوم المباشر... إلخ[(٢)].

٧- «ضرورة المحافظة على هدف الحوار... حتى لا يخرج المتحاوران عن الموضوع بمناقشات جزئية أو جانبية»[(٣)].

٨- خاطب على قدر العقول.

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٦].
(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٧].
(٣) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٧].

٩- التفاعل مع المتحدث بالإشارات والجسم والعينين مما يشجع على استمرار الحوار بطريقة ناجحة «فبعض الناس تجد في وجوههم دائمًا نوع من الجمود والبلاهة والتجهم، إنهم لا يعبرون، وتشعر وأنت تتحدث معهم وكأنك تتحدث مع تمثال أو دمية.. في حين أن التواصل البصري بين المتحاورين أيضًا مهم وقد قالوا قديمًا: «العينان مغرفتا الكلام»[(١)] فمن الواجب أن تعطي انطباعات إيجابية لمن تحاوره مما يعطي المتحدث شعور باهتمامك به وبحديثه فيتكلم أكثر وأكثر.

١٠- كن هادئًا قدر الإمكان؛ فكثير من الأبناء يكون رد فعل الأب معوقًا أساسيًا في فتح الحوار، «فإذا أردت لحوارك مع أبناءك أن يستمر، فتنبه إلى ردود أفعالك لحديثهم حتى وإن عبر الأبناء عن مشكلة، فينبغي أن تكون هادئًا قدر الإمكان، فهذا سيجعله أكثر جرأة على البوح والحديث، ومن ثم تتدارك مشكلاتهم قبل أن تتفاقم»[(٢)]. وقد طبق هذا الأمر خير البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما

(١) «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص[٦٠].

(٢) «كيف تحاور أبناءك؟» محمد أحمد عبد الجواد ص[٧٣].

جاء الشاب يستأذنه في الزنا، فانظر ما كان منه من هدوء واستيعاب للشاب، ولولا أن الشاب متوقع الهدوء وأن هذا سيكون رد فعل الرسول ما ذهب إليه من الأساس.

١١- استخدم أسلوب الرسائل مع أبناءك فهذا يساعدهم في البوح بما عندهم بكل سهولة ويسر، حقًا ما أمتع هذا الأسلوب!! يا لها من متعة وأنت تقرأ رسالة من ابنك يبوح لك بما عنده من مشاعر ومشاكل وآراء وطموحات!! فبعض الأبناء لا يحسن الكلام كما يحسن الكتابة.